ويجوز أن يكون قوله (قرة عين) قسما كما يقال : أيمن ا . فإن العرب يقسمون بذلك أي أقسم بما تقر به عيني . وفي الحديث الصحيح " أن أبا بكر الصديق استضاف نفرا وتأخر عن وقت عشائهم ثم حضر وفيه قصة إلى أن قال الراوي : فجعلوا لا يأكلون لقمة إلا ربت من أسفلها أكثر منها . فقال أبو بكر لامرأته : يا أخت بني فراس ما هذا ؟ فقالت : وقرة عيني إنها الآن أكثر من قبل . فتكون امرأة فرعون أقسمت على فرعون بما فيه قرة عينها وقرة عينه أن لا يقتل موسى ويكون رفع (قرة عين) على الابتداء وخبرة محذوفا وهو حذف كثير في نص اليمين مثل : لعمرك . وابتدأت بنفسها في (قرة عين لي) قبل ذكر فرعون إدلالا عليه لمكانتها عنده أرادت أن تبتدره بذلك حتى لا يصدر عنه الأمر بقتل الطفل .

وضمير الجمع في قولها (لا تقتلوه) يجوز أن يراد به فرعون نزله منزلة الجماعة على وجه التعظيم كما في قوله (قال رب ارجعون) . ويجوز أن يراد به خطاب فرعون داخلا فيه أهل دولته هامان والكهنة الذين ألقوا في نفس فرعون أن فتى من إسرائيل يفسد عليه مملكته . وهذا أحسن لأن فيه تمهيدا لإجابة سؤلها حين أسندت معظم القتل لأهل الدولة وجعلت لفرعون منه حظ الواحد من الجماعة فكأنها تعرض بأن ذلك ينبغي ان لا يكون عن رأيه فتهون عليه عدوله في هذا الطفل عما تقرر من قتل الأطفال . وقيل (لا تقتلوه) التفات عن خطاب فرعون إلى خطاب الموكلين بقتل أطفال إسرائيل كقوله (يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك) .

فموقع جملة (قرة عين لي ولك) موقع التمهيد والمقدمة للعرض . وموقع جملة (لا تقتلوه) موقع التفريع عن المقدمة ولذلك فصلت عنها .

وأما جملة (عسى أن ينفعنا) فهي في موقع العلة لمضمون جملة (لا تقتلوه) فاتصالها بها كاتصال جملة (قرة عين لي ولك) بها ولكن نظم الكلام قضى بهذا الترتيب البليغ بأن جعل الوازع الطبيعي عن القتل وهو وازع المحبة هو المقدمة لأنه أشد تعلقا بالنفس فهو يشبه المعلوم البديهي . وجعل الوازع العقلي بعد النهي علة لاحتياجه إلى الفكر فتكون مهملة التفكير بعد سماع النهي الممهد بالوازع الطبيعي فلا يخشى جماح السامع من النهي ورفضه إياه .

خشية من فرعون نفس خامر ما إزالة (ولدا نتخذه أو ينفعنا أن عسى) قولها ويتضمن A E فساد ملكه على يد فتى إسرائيلي بأن هذا الطفل لا يكون هو المخوف منه لأنه لما انضم في أهلهم وسيكون ربيهم فإنه يرجى منه نفعهم وأن يكون لهم كالولد . فأقنعت فرعون بقياس على الأحوال المجربة في علاقة التربية والمعاشرة والتبني والإحسان وإن الخير لا يأتي بالشر .

ولذلك وقع بعده الاعتراض بقوله تعالى (وهم لا يشعرون) أي وفرعون وقومه لا يعلمون خفي إرادة ا من الانتقام من أمة القبط بسبب موسى . ولعل ا حقق لامرأة فرعون رجاءها فكان موسى قرة عين لها ولزوجها فلما هلكا وجاء فرعون آخر بعدهما كان ما قدره ا من نصر بني إسرائيل .

واختير (يشعرون) هنا لأنه من العلم الخفي أي لا يعلمون هذا الأمر الخفي .

(وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين [10]) (أصبح) مستعمل في معنى (صار) فاقتضى تحولا من حالة إلى حالة أخرى أي كان فؤادها غير فارغ فأصبح فارغا .

والفؤاد مستعمل في معنى العقل واللب .

والفراغ مجازي . ومعنى فراغ العقل من أمر أنه مجاز عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواء مجازيا أي عدم جولان معنى ذلك الأمر في العقل أي ترك التفكير فيه .

وإذ لم يذكر أن فؤاد أم موسى لماذا أصبح فارغا احتملت الآية معاني ترجع إلى محتملات متعلق الفراغ ما هو . فاختلف المفسرون في ذلك قديما ومرجع أقوالهم إلى ناحيتين : ناحية تؤذن بثبات أم موسى ورباطة جاشها وناحية تؤذن بتطرق الضعف والشك إلى نفسها .

فأما ما يرجع إلى الناحية الأولى فهو أنه فارغ من الخوف والحزن فأصبحت واثقة بحسن عاقبته تبعا لما ألهمها من أن لا تخاف ولا تحزن فيرجع إلى الثناء عليها . وهذا اسعد بقوله تعالى بعد (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) لأن ذلك الربط من توابع ما ألهمها ا من أن لا تخاف ولا تحزن